٩ – أعيان القرن الرابع عشر

للعلامة المغفور له احمد باشا تيمور

محمد افندى أكمل

هو محمد أكمل بن عبد الغني بك فكرى بن لطف الله بن حسين ، الشاعر الأديب الظريف ؛ ولد بالقاهرة ونشأ بها واعتنى والده بتعليمه وتهذيبه ، ثم أدخله فى الديوان الخديوى للتعلم كتلميذ ، وكان من كبار كتاب هذا الديوان مدة الخديو اسماعيل باشا ، فجود الخط به وألمّ باللغة التركية ، وكانت له حدبة بظهره شوهت خَلْقه ، ورأى والده أن لامطمع فى استخدامه بمنصب لائق ، لحدبته وقصر قامته ، فاستحسن له طلب العلم بالأزهر ، وكان يرجو أن يكون من كبار العلماء ، فلازم الطلب به وقرأ النحو والعلوم العربية على الشيخ أحمد المنصورىّ ، والشيخ محمد البجيرمىّ ، وكان أحدب مثله ، وكثيراً ما كان يقعده بجواره فى حلقة الدرس . ثم انقطع عن الطلب ولازم والده ، وكان والده جمّاعة للكتب ، مغالياً فى اقتنائها شراء واستنساخاً ، ينفق عليها جلّ ما يصل ليده ، ويحيى الليالى فى مقابلة مايستنسخه منها وتصحيحه وضبطه ، فكان المترجم يعاونه فى ذلك ، واطلع بهذا السبب على كثيرمن الكتب العلمية والأدبية والدواوين الشعرية ، وعاشر من كان يجتمع بوالده من العلماء والأدباء وتردد عليهم واستفاد منهم ، وعرف مدة طلبه بالأزهر كثيراً من أدبائه وشعرائه المجيدين كالشيخ عبد الرحمن قرّاعة ، والشيخ أحمد مفتاح وحفنى بك ناصف وغيرهم ، فاستفاد منهم أيضاً ، ونظم الشعر والزجل وأدوار الغناء ، واشتهر بحسن المحاضرة وملاحة التندير وسرعة الجواب وخفة الروح ، وكان كثيراً ما يجعل محور تنديره دائراً على حدبته ، فيأتى بما يضحك الثكلى ، بل كان لايأنف من ذكرها فى شعره ، كقوله من زجل فى الوباء الذى حلّ بمصر أوائل سنة ١٣٢٠ وما فعله الأطباء من الهجوم على الدور وترويع ربات الخدور :

شاعرْ وناثرْ زجّالْ عالْ ... فنّ الأدبْ فيدهْ (١) لِعْبَهْ
لطيفْ زكى وِفهمهْ سيّالْ ... وِرِقّتهْ مِنَ اللهْ وَهْبَهْ
مخْلِص لاخْوانه ومَيّالْ ... نادْرِةْ زمانهْ ولُه حَدَبَهْ
مافيهْش عيْب ظاهرْ معروفْ ... قَصِيرْ ولكن فِيهْ أقصَرْ
واللى يعيش ياما بِيْشُوفْ ... واللى بِيمْشى يِشُوف أكتَرْ

ومن ولوعه بحدبته شرع فى جمع كتاب فى نوادر الحدبان وما قيل فيهم من الأشعار ، وتراجم مشهوريهم ، أخبرنى أنه جمع منه جزءاً إلا أنه لم يتمه

ونقل والده مدة محمد توفيق باشا الخديو من الديوان إلى المحاكم الأهلية قاضياً ، وتوفى يوم الثلاثاء ٢٩ المحرم سنة ١٣٠٧ وخلف له ولاخوته ضيعة بالصعيد أصاب المترجم منها ستون (فداناً) باعها وبدد ثمنها بالاسراف حتى احتاج للاستخدام بديوان الأوقاف بمرتب قليل دون الكفاف ، وعاش فى ضيق ومضض بعد ما تعوده من السعة والرفاهية ، وأخذ يتقرب للخديو بنظم التواريخ فى كل عيد واحتفال وحل وترحال وينشرها فى صحف الأخبار رجاء أن تبلغه فيأخذ بيده فلم يستفد شيئاً وراح تعزّ له فى الريح ، وكان قصر شعره فى أواخر عمره على هذه التواريخ فنظم منها الغث والسمين . وكنا إذا قرب عيد أو سفر أو قدوم للخديو لانتفع به لاشتغاله بالنظم والحساب وإعمال الروية فيصير هذا ديدنه فى غدوه ورواحه وقيامه وقعوده حتى يمن الله عليه بشىء يرتضيه

وترك له والده غير الضيعة داراً بسوق الزلط بيعت أيضاً ، وترك خزانة كتب كبيرة قل أن تضارعها خزانة فى نفائس الكتب ونوادر الأسفار ، وهى التى أفنى عمره وماله فى جمعها ، وأتعب نفسه فى تصحيحها وضبطها ، وصبغ الورق وصقله لنسخ ما كان يستنسخه منها ، فوق ما كان يتكلفه من السعى فى البحث عنها فى الخزائن المهجورة وعند الورّاقين ، واتخذ له فى داره مصنعاً للتجليد ، واستخدم عدة نساخ أجرى عليهم المرتبات فاختصوا بالنسخ له لا يشتغلون لسواه ، وكان هو وعبد الحميد بك نافع من أدباء القرن الثالث عشر يتباريان فى ذلك ويتسابقان . أخبرنى المترجم عن والده أنه بلغه أن تاجراً من الورّاقين قدم من سفر بكتب أوصاه عبد الحميد بك نافع بجلبها له وبينها ديوان البحترى

(١) أى فى يده

وكان اذ ذاك لم يطبع بل لا يعرف فى مصر إلا باسمه ، فأسرع إليه وبذل له مالاً فوق قيمة الديوان على أن يعيره له يوماً وليلة فقط يطالع فيه ، فرضى وأعاره إياه ، فلما أتى به لداره أعطاه لمجلده ففك له تجليده وأحضر فى الحال عدة نساخ فرقه عليهم كراريس فنسخوه وقابلوه ، ولم يمض اليوم والليلة إلا وقد ردت النسخة الأصلية لصاحبها مجلدة كما كانت ، ثم قابله بعد ذلك عبد الحميد بك وأخذ يفاخره بوجود الديوان عنده واختصاصه به ، فقال له خفّض عليك يا أخى هذا شىء أكلنا عليه وشربنا حتى مججناه ، ثم أخرج له نسخة الديوان من الخزانة . وبلغه مرة وهو يسمر مع بعض أصحابه أن بعضهم رأى عند فلان الوراق رسالة من الرسائل ، وكان هو يتطلبها من زمن وينشدها فلا يجدها ، فلم يسعه إلا أن قام فى الحال وأخذ يسأل عن دار الوراق من هنا وهناك حتى اهتدى إليها بعد ما مضى هزيع من الليل ، فأيقظه من نومه وساومه فى الرسالة بقيمة فوق قيمتها ولم يمهله للصباح بل أنزله من الدار وذهب معه إلى حانوته ففتحه ليلاً وأخرجها له ولم يهدأ له بال حتى باتت الرسالة عنده . فلما مات عرّض المترجم كتبه للبيع فبيعت وتفرقت واقتنى نفائسها ونوادرها الكونت لندبرج قنصل السويد بمصر ، وكان من مستعربى الأفرنج المولعين بجمع الكتب العربية ، وأدركت أنا أواخرها فاقتنيت منها بضعة عشر كتاباً ، منها ما هو بخط عبد الغنى بك نفسه ، وبحواشيها آثار التصحيح واختلاف النسخ التى كان يقابلها بها

وكان أول التقائى بالمترجم فى دار ابن أختى محمود توفيق بك ، وهى إذ ذاك مجمع الأدباء ومحط رحال الفضلاء ، فلما رأيته استغربت شكله واستملحت محاضرته ، ثم رأيته يناقش الأدباء ويطارحهم الشعر ، فدنوت منه وكنت صغيراً فى أول الطلب ، وقد تعذر على فهم باب أفعل التفضيل ، وأجهدت نفسى فى درسين متواليين على تفهمه ، فلم يفتح على بشىء فيه ، فسألته عنه فأوضحه لى بعبارة سهلت على فهمه ، فكان بعد ذلك كثيراً ما يقول لى ممازحاً : إذا ذكرت شيوخك فاذكرنى معهم ولا تنسنى. ثم تأهل ببنت حنفى بك ، وكان لأسرتها نوع اتصال بنا ، فاتصلت المودة بينى وبينه بهذا السبب ، وازدادت ملازمته لى لما سكن بجوارنا ، فكان يزورنى عصر كل يوم ويبقى حتى نسمر معاً ثم ينصرف ، فتارة كنا نحيى الليالى بمسامرات أدبية ومذاكرات علمية ، أو بمطالعة بعض الكتب ، وتارة بمقابلة ما كنت أستنسخه وتصحيحه ، وكان لا يمل من المقابلة مهما يطل الوقت فيها ، ويقول هذا شىء دربنى عليه والدى وعودنى إياه من الصغر . وأشار علىّ مرة استاذنا العلامة محمد محمود الشنقيطى أن أطالع أمالى ابى علىّ القالىّ مطالعة امعان وتدبر ، ولم تكن طبعت بعد ، فاستنسخت منها كراريس عكفت على مطالعتها ، وأخبرت المترجم أننى سأحتجب عن الناس بضعة أيام حتى أستوفى ما بهذه الكراريس ، فغاب عنى ثلاثة أيام ثم حضر ومعه زجل ، ينحى فيه على الأستاذ وعلى أبى على القالى اللذين تسببا فى انقطاعى عن الاخوان ويذكر فيه بعض من كان يجتمع بنا

وقد أطلعته على رسالة عندى جمعها الشيخ احمد الفحماوى صاحب الخط الحسن ، المشهور بكتابة لزوم ما يلزم للمعرى وسماها (بنات أفكار وعرائس أبكار فى ألقاب أهل العصر) ذكر بها كنى وألقاباً وضعها لفضلاء أواخر القرن الثالث عشر عبد الحميد بك نافع ، وابراهيم افندى طاهر الشاعر الرقيق المشهور على سبيل المزاح والدعابة ، فلقبا كل واحد بلقب شاعر متقدم ، أو رجل مشهور يوافق اسمه هيئة الملقب به ، أو شيئاً يغلب على أخلاقه وأحواله ، كتلقيبهما مصطفى افندى المنعوت بكامل بالعكوك ، لأنه كان قصيراً جداً معوّج القدمين ، وتلقيبهما الشيخ محمد الرافعى الكبير شيخ رواق الشاميين بالأزهر وأحد كبار علمائه بملاّ مسكين ، لأنه كان نحيفاً وبقوامه بعض احديداب يرى كأنه تواضع وانكسار ، وتلقيبهما عبد الغنى بك أبا المترجم بالأخطل ، لأنه كان ضخم الجسم كبير الهامة . فلما اطلع المترجم عليها جن بها جنوناً وشرع فى وضع رسالة تماثلها فى فضلاء عصره ، وسألنى مشاركته فيها كما فعل ذانك الأديبان فامتنعت خشية اللوم ، فانفرد هو بتأليفها وأتى فيها بغرائب ذهب أغلبها عن الذهن لطول العهد ، فمن ذلك تلقيبه للعالم الفاضل على رفاعة باشا ابن رفاعة بك المشهور ، بابن المقفع لنحافته ودخول شدقيه ، وتلقيبه للعالم الفاضل يحيى افندى الأفغانى ، بالقدورى لغرابة شكله وقصر ساقيه تشبيهاً له بالقدر من الفخار ، والقدورى اسم عالم من الحنفية مشهور . وكان الشيخ محمد الحفنى الهدى ابن أخى مفتى مصر الشيخ العباسى الهدى ولعاً بذم الناس

منقباً عن معايبهم ، لهجاً بها فى المجالس ، لم يسلم منـه أحد حتى عمه ، واشتهر بذلك حتى أبغضه عارفوه ونحاموا عن الاجتماع به ، فلقبه ابن هِرْمة ، وهى كلمة سب عند العامة ، فقلت له هذا لا يستقيم لك لأن ابن هرمة الشاعر بفتح أوله فتأنف وقل لا أجد له لقباً ينطبق عليه غير هذا فدعنى من شنقيطيتك . ثم لما فرغ منها سألته عما لقب به نفسه ، ففكر وقال أحسن لقب ينزل علىّ ابن قتيبة ، ثم تركه وتلقب بالقوتس . وضاعت هذه الرسالة فيما ضاع من أوراقه وأشعاره ، ويغلب على الظن أنه مزقها لأنه وقع له بسببها نفور بينه وبين بعض من لقبهم ، فانه لما لقب صاحبنا وصاحبه الشيخ احمد مفتاح لسلامة طويته ، بالأبله البغدادى ، غضب منه وكاد يتفاقم الشر بينهما ، وغضب منه صاحب آخر كان قصيراً ممتلئاً يتدحدح فى مشيته كما يتدحدح البط لأنه لقبه بابن بطوطة ، فأخفى الرسالة لهذا السبب وطوى ذكرها .

وكان رحمه الله مجيداً فى الزجل ، متقناً لصياغة الأدوار التى يتغنى بها ، وأكثر ما كان متداولاً منها بين المغنين فى عصره كان من نظمه ، وأما شعره فالاجادة فيـه قليلة إلا ما ضمنته النكت والتندرات العامية ، فمن أحسن ما وقفت عليـه منه قوله من مرثية فى صاحبه على رفاعة باشا

جزعت وللحرّ أن يجزعا ... وودّعت صبرى إذ ودّعا
وجادت عيونى على بخلها ... وحُق لها اليوم أن تدمعا
وروّع قلبى النوى بعد ما ... أمنت ومثلى كم رُوّعا
لحا الله يوماً أشاعوا به ... وقالوا أمير العلا شـيعا
فما كان أصعب تأبينه ... وما كان أسوأه موقعا
وما كان حق البكاء ولـكن ... فزعت ولا بدع أن أفزعا
تجرعت من هوله كل صاب ... وغيرى من الناس كم جرعا
وما دار فى خلدى أننى ... أرى البدر يرضى الثرى مضجعا
ولـكن شأن الزمان عجيب ... فما كان أضيع عهداً رعى
يقول النعىّ علىّ قضى ... ولم يدر أن العلا قد نعى
نعى سـيداً صيته طائر ... حوى الفضل فى شخصه أجمعا
فدكت رواسى الدنى بعده ... وماد الزمان بما أودعا
وغابت شموس المعارف لما ... ذوى غصنه بعد ما أينعا
فقـل للخطابة ذوبى أسى ... ولا تطلبى بعـده مصقعاً
وقـل للكتابة لا تحفلى ... بمن يتبجح فى المدعى
وقل للعلوم فقدت أميراً ... مضى تاركاً فضله مشرعاً

وقال مورّيا باسم الطبيب سعد بك سامح :

ياســـعد مالك معرضاً ... عنىّ وقلبى فيـك طامحْ
إنى أتيتـــك قائـــلاً ... أنا تائب ياسـعد سامح

وقال مورّيا باسم محمد ثابت :

ان كنت فى ريب بصدق محبتى ... وسمعت عنى ما تقوّل شامت
فاعلم فديتـك دائماً انى على ... عهد المحبّـــة يا محمد ثابتُ

ولما مرضت شقيقتى السيدة عائشة التيمورية وأحست بدنو الأجل نظمت فى مرضها أبياتاً لتكتب على قبرها وتركت مصراع التاريخ لمن ينظمه بعدها وهى :

قد كنت عائشة فنوديت ارجعى ... للقـبر مأوى كل حىّ فان
فأتيت صفر الـكف عن مرضاته ... ومقرة بالعجز والعصيان
جرّدت من ثوب الهدى لـكنّ لى ... تاجاً من الاسـلام والايمان
ونزلته مستشفعاً بمحمـــد ... وتوسّـــلى عفواً من الرحمن
أصبحت ممن زار لحدىَ راجياً ... خير الدعا وتـلاوة القرآن
لـكم البقا إخوانى دينى أرّخوا

فنظم المترجم التاريخ بقوله : (قـبر لعائشة سما بجنان)

٣٠٢ ٨١١ ١٠١ ١٠٦
١٣٢٠

وله غير ذلك مما ذهب عن الذهن الآن ، ولـكثرة ممارسته للتواريخ الشعرية كان يأتى فيها أحياناً بغرائب فى ابراز المقصود بدون حشو كقوله فى تاريخ ولادة ولده عبد الغنى : (عبد الغنى ابن أكمل) .

وكانت وفاته فجأة قبـل ظهر يوم الثلاثاء ٢٢ ذى القعدة سنة ١٣٢١ ودفن بمقابر باب النصر رحمه الله تعالى .

مجموعة السنة الأولى للرسالة

لدى الادارة مجموعات مجلدة من السنة الأولى للرسالة تباع بخمسة وثلاثين قرشا غير أجرة البريد فى مصر وبخمسين قرشا فى البلدان الأخرى